فضائل الصحابة

في

ميزان الشريعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور محمد عمر الحاجي

فضائل الصحابة
في
ميزان الشريعة الإسلامية

تقديم

الأستاذ محمد ابن النابلسي الأستاذ نزير محمد ملكبي

دار المكتبي

الطبعة الأولى
1420هـ - 1999م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الأستاذ الداعية

محمد راتب النابلسي

طُلب مني أن أقدم كتاباً في (**فضائل الصحابة في ميزان الشريعة الإسلامية**) تأليف الأخ الكريم (الدكتور محمد عمر الحاجي) .

وكأن التقديم ـ فيما أعلم ـ يقتضي قراءة الكتاب قراءة متأنية متفحصة ، ثم التقييم وفق أسس صحيحة من التدليل والتعليل ، ولما كان الوقت لا يسمح لي بذلك ، فقد آثرت أن أصدّر الكتاب بكلمة عن أصحاب رسول الله ﷺ أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، الذين اختارهم الله جلّ في علاه ـ وهم صفوة من البشر ـ ليكونوا سياجاً حول رسوله ، وليكونوا أنصاراً لدينه ، كيف لا وقد قال المصطفى ﷺ : « **إن الله اختارني واختار لي أصحابي** » .

ما من كلمة تُقال في الأثر العظيم الذي تركه النبي ﷺ في أصحابه ، وأمته من بعده ، أبلغ من كلمة سيدنا جعفر بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، يوم كان في الحبشة مهاجراً ، وسأله ملكها عن فحوى رسالة النبي ﷺ فقال : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ؛ حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ،

وصدقه وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات .

فالنبي ﷺ سيد المربين وإمام المعلمين ، وقد أرسله الله رحمة للعالمين ، وقد جاء في الحديث الشريف : « **إنما بعثت معلماً ، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

يقول أحد المفكرين : إن مثلاً واحداً أنفع للناس من عشرة مجلدات ، لأن الأحياء لا تصدق إلا المثل الحي ، لهذا كان النبي الواحد بمثله الخلقي الحي ، وجهاده أهدى للبشرية من آلاف الكتّاب ، الذين ملؤوا بالفضائل والحكم بطون المجلدات ، إن أكثر الناس يستطيعون الكلام عن المثل العليا ، ولكنهم لا يعيشونها . . لهذا كانت حياة الأنبياء إعجازاً ، وكانت نتائج دعوتهم إعجازاً ، بينما لا تلقى دعوة الداعين غير المخلصين من أتباعهم إلا الاستخفاف والسخرية ، فالإسلام لا يحييه إلا المثل الأعلى ، والقدوة الحسنة ، والسلوك المستقيم ، والانضباط الذاتي والعفة عن المطامع والعفة عن المحارم ، والعمل الصالح ، والتضحية والإيثار ، قال عليه الصلاة والسلام : « **ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل** » .

فالنبي ﷺ كان مثلاً أعلى لأصحابه الأطهار وأسوةً حسنةً للمؤمنين الأخيار ، وقدوة صالحة لأتباعه الأبرار ، فقد اتسمت دعوته باتساع رقعتها ، وامتداد أمدها ، وعمق تأثيرها ، لأنه طبق بسلوكه ما قاله بلسانه ، فقد كان ﷺ على خلق عظيم ، وكان خلقه القرآن ، وأحبه أصحابه إلى درجة فاقت حد التصور ، وأطاعوه طاعةً جاوزت حدود

الخيال ، قال أبو سفيان يوم كان مشركاً : « **ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً** » .

فالسر في قوة تأثير النبي ﷺ في أصحابه . . أنه كان لهم أسوة حسنة وقدوة صالحة ومثلاً يُحتذى .

قال ملك عمان ، وقد التقى النبي العدنان : والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه كان لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ، ويُغلب فلا يضجر ، ويفي بالعهد وينجز الوعد .

لقد كان ﷺ جم التواضع ، وافر الأدب ، يبدأ الناس بالسلام ، وينصرف بكله إلى محدثه صغيراً كان أو كبيراً ، ويكون آخر من يسحب يده إذا صافح ، وإذا تصدق وضع الصدقة بيده في يد المسكين ، وإذا جلس جلس حيث ينتهي به المجلس ، لم يُر مادًّاً رجليه قط ، ولم يكن يأنف من عمل لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار وكان يذهب إلى السوق ، ويحمل بضاعته ، ويقول أنا أولى بحملها وكان يجيب دعوة الحر والعبد ، والمسكين ، ويقبل عذر المعتذر .

وكان يرفو ثوبه ، ويخصف نعله ، ويخدم نفسه ويعقل بعيره ويكنس داره ، وكان في مهنة أهله ، كان يأكل مع الخادم ، ويقضي حاجة الضعيف والبائس ، كان يمشي هوناً خافض الطرف ، متواصل الأحزان دائم الفكرة ، لا ينطق من غير حاجة ، طويل السكوت ، إذا تكلم تكلم بجوامع الكلم .

كان دمثاً ، ليس بالجاحف والمهين ، يعظم النعم وإن دقت ، ولا يذم منها شيئاً ، ولا يذم مذاقاً ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها ولا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها .

إذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غضَّ طرفه ، كان يؤلف ولا يفرق ، ويقرب ولا ينفر ، يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، يتفقد أصحابه ، يسأل الناس عما في الناس ، يحسن الحسن ويصوبه ، يقبح القبيح ويوهنه ، لا يقصر عن حق ، ولا يجاوزه ، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه .

من سأله حاجة لم يرده إلا بها ، أو ما يسره من القول .

كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخَّاب ، ولا فحَّاش ، ولا عيَّاب ، ولا مزَّاح ، يتغافل عما لا يشتهي .

ولا يخيب فيه مؤمله ، وكان لا يذم أحداً ولا يعيِّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يُرجى ثوابه ، يضحك مما يضحك منه أصحابه ، ويتعجب مما يتعجبون ، يصبر على الغريب وعلى جفوته في مسألته ومنطقه ، لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه .

الحديث عن شمائله ﷺ لا تتسع له المجلدات ولا خطب في سنوات ، ولكن الله جل في علاه ، لخصها بكلمات فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

لقد دعا النبي إلى الله ، وتلا على قومه آيات الله ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وزكى الذين آمنوا به وساروا على نهجه ، واتبعوه في ساعة العسرة ، واتبعوه حيث أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، وأحل لهم الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث ، وهاجروا ، وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، حتى صاروا أبطالاً ، رهباناً في الليل ، فرساناً في النهار ، يقومون الليل إلا قليلاً ، ينفقون أموالهم سراً وعلانية ، يدرؤون بالحسنة السيئة ، في صلاتهم

خاشعون ، عن اللغو معرضون ، للزكاة فاعلون ، لفروجهم حافظون ، لأماناتهم وعهدهم راعون ، يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، هم تائبون عابدون ، حامدون سائحون ، راكعون ساجدون ، آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر ، حافظون لحدود الله ، يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم ، إذا قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، زادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، هم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ، يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ، ولا يخشون أحداً إلا الله ، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون ، أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ، كانوا قوامين لله شهداء بالقسط ، أذلةً على المؤمنين ، أعزةً على الكافرين ، لقد آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، وأحبوا الله وأحبهم ، ورضي عنهم ، ورضوا عنه ، وبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم .

والمثل الأعلى الذي ضربه النبي ﷺ بسيرته وخلقه حمل أصحابه الكرام على أن يهتدوا بهديه ويتبعوا سنته ويقتفوا أثره فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقتدي برسول الله ﷺ فيجعل من سلوكه ومواقفه مثلاً أعلى يُحتذى ، فكان إذا أراد إنفاذ أمرٍ جمع أهله وخاصته ، وقال لهم : إني أمرت الناس بكذا ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وأيم الله ، لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه

إلا ضاعفت له العقوبة لمكانته مني . . فصارت القرابة من عمر رضي الله عنه مصيبة .

ونحن مأمورون من قبل الحق جل وعلا أن نؤمن بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وأن نوقره ، وأن نعزره ، وأن نبايعه ، وأن ننصره ، وأن نتبع سنته ، وأن نصدقه فيما رواه عن أصحابه الكرام ، ولا سيما الأعلام منهم ، السابقين إلى الإسلام والإيمان ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٨-١٠] .

ثم بين الباري جل وعلا أن الفلاح في الإيمان بالنبي ﷺ ، واتباعه ، ونصرته ، قال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وكيف لا نرضى عن أصحاب رسول الله ﷺ وقد رضي الله ـ في عليائه ـ عنهم إذ يقول : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] .

والذي لا يرضى عنهم ، فقد ردّ على الله كلامه ، وهذا يقوده إلى الكفر والعياذ بالله .

ومن توقيره وبرّه توقير أصحابه وبرّهم ، ومعرفة حقهم ، والاقتداء بهم ، وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم ، وأن يُلتمس لهم ـ فيما نقل عنهم ـ أحسن التأويلات ، ولا يذكر أحد منهم بسوء ، فحبهم دين وإيمان وإحسان ؛ وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .

وقد أرشد النبي ﷺ أمته من بعده إلى وجوب الإمساك عن الخوض فيما يمسّ صحابته فقال : « **ليبلّغ الحاضر الغائب ، الله الله في أصحابي لا تتخذونهم غرضاً من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذىٰ الله . . .** »

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا** » .

بل إنه ﷺ بين أن الخيرة التي يريدها الله للمؤمن أن يحب أصحاب رسول الله ، فقال : « **إذا أراد الله برجل من أمتي خيراً ألقى حب أصحابي في قلبه** » .

وقد بين النبي ﷺ أنَّ الواحد من أصحابه كألف ، فلو أنفق الواحد من الناس مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مدّ أحد أصحابه ، فقال : « **دعوا لي أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه** » .

والمسلمون ـ بعد القرون الثلاثة الأولى التي شهد النبي ﷺ لها بالخيرية ـ المسلمون من دون دعاة إلى الله جُهَّال تتخطفهم شياطين الإنس والجن ، من كل حدب وصوب ، وتعصف بهم الضلالات من كل جانب ، لذلك كان الدعاة إلى الله مصابيح الدجى ، وأئمة الهدى ، وحجة الله في أرضه ، بهم تُمحق الضلالات وتنقشع الغشاوات ، هم ركيزة الإيمان وغيظ الشيطان ، وهم قوام الأمة ، وعماد الدين ، هم أمناء على دين الله يدعون الناس إلى الله بلسان صادق ، وجنان ثابت ، وخلق كريم ، فأعمالهم تؤكد أقوالهم ، لذا فهم أسوة ونبراس يصلحون ما فسد ، ويقوِّمون ما اعوجَّ ، لا يستخفون من الناس ولا يخشون أحداً إلا الله ولا يقولون إلا حسناً .

ولن يفلح الدعاة إلى الله في دعوتهم ، إلا إذا اتبعوا النبي ﷺ الذي عصمه الله عن الخطأ في الأقوال والأفعال والأحوال وأوحى إليه وحياً متلواً وغير متلو ، وألزمنا أن نأخذ منه كل ما أمرنا به ، وأن ندع كل ما نهانا عنه ، وأن نتأسى بمواقفه وسيرته ، لأنه القدوة ، والأسوة الحسنة والمثل الأعلى .

محمد راتب النابلسي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الأستاذ الداعية

نذير محمد مكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمد ، وعلى آل بيته الطاهرين وأصحابه الغر الميامين .

أمّا بعد :

فإنَّ من حقِّ الرعيل الإسلاميّ الأوّل الذي ربّاه رسول الله ﷺ على عينيه أن تعتني الأجيال المسلمة في مختلف أزمان حياتها بقراءة وقائع حياته ، ودراسة منجزاته وعطاءاته في مضمار تبليغ الدعوة الإسلاميَّة ، وتطبيق دين الله تبارك وتعالى ، والحفاظ على بيضته ، والذَّوْد عن حياضه ، فهم الصفوة المختارة من البشر الذين أكرمهم الله سبحانه بمصاحبة خاتم الأنبياء والمرسلين سيِّدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فكانوا إلى جانبه في حمل أعباء دعوته وتبليغ رسالته حيث نصروه في دينه ، وجاهدوا معه حقَّ الجهاد باذلين في ذلك أموالهم وأرواحهم ، لا يتخلَّفون عن ركبه ، ولا يتأخَّرون عن استجابة كلمته ، ولا يقصِّرون في نصرته منذ أن آمنت به قلوبهم رسولاً من ربِّ العالمين ، فكتب التاريخ من وقائع حياتهم أروع الصفحات وأنصعها ما يجعلهم قدوة للأجيال المسلمة

بعدهم ونبراساً ماثلاً في حياة أُمّة الإسلام ، لا يخبو ضَوءُه ، ولا تنطفىء شُعلتُه ، فكانوا بحقٍّ كما وصفهم المولى سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

ولولا ذلك الرَّعيل الأوّل من المسلمين في صبرهم وثباتهم على الإيمان وبذلهم وتفانيهم في حمل كلمة الإسلام وجهادهم الخارق في نُصرته وذبِّ الأعداء من الكفّار والمشركين عن شمسه الساطعة ، لما وصل إلينا شيء من أنوار هذا الدين الحنيف ، ولعاد الظلام من جديد يلفّ العالم بسُدَفِه بعد تبدّده عن وجه الحياة ، ولعادت رؤوس الجاهلية الآثمة والوثنية الحاقدة ترتفع مرّةً أخرى في آفاق الناس لتُلْقي بهم في غياهب الضلال ، وتسوقهم بعيداً عن النور اللاَّهب الذي فجَّر رسول الله ﷺ ينابيعه في حياتهم حتى استخلص منهم خير أُمّة أُخرجت للناس . فكانوا ـ رضي الله تعالى عنهم ـ الجسر البشري الأنور الذي عبرت عليه الرِّسالة المحمّدية لتصل إلى الأجيال من بعدهم ، فتتسلَّمها صافيةً نقيَّةً كما أنزلها الله سبحانه . فاستحقوا أن يقول فيهم رسول الله ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهاده أحدهم يمينَه ويمينُه شهادته » [مسلم] .

وأن يقول فيهم : « مثل أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى » [الدارميّ] .

وكأنَّ رسول الله ﷺ قد أعلمه الله سبحانه بما سوف يتعرَّض له أصحابه

الكرام من الطعن عليهم والإساءة إليهم ، وحَوْكِ المؤامرات ضدَّهم ، وتشويه صورتهم في نظر الأجيال بفعل الأكاذيب والإفتراءات التي تُلوَّث بها أجواء تاريخهم ، وتُلطَّخ بها معالم حياتهم وهم منها بُرآء . وماجلهم الطاعنون غرضاً لمطاعنهم إلاّ لينفذوا من خلالهم إلى الطعن على الإسلام وتشويه منهجه في نظر الناس حتى يُعرِضوا عنه ، ويتخذوا سبيلاً غير سبيله القويم . إذ وجد أعداء دين الإسلام أنفسهم عاجزين عن أن يطعنوا عليه من خلال تشويه شخصية رسول الإسلام نفسه واتهامه بالكذب والافتراء على الله كما فعل المشركون في صدر الدعوة الإسلامية ؛ لأنَّ أحداً من المسلمين لن يلتفت إلى افتراءاتهم وأباطيلهم هذه ، بل سيثير حفيظته ، ويُفجِّر بركان غضبه على أعداء الله أدنى أذىً يسمعه منهم موجّهاً إلى النبيِّ الكريم ﷺ .

فأدركوا أنَّه لم يعد أمامهم في سبيل تحقيق مرادهم الخاسر إلاّ أن يتَّهموا الرعيل الأوّل الذي تلقّى الإسلام مباشرة من رسول الله ﷺ ، ثمَّ نقله إلى من جاء بعده من الجيل الإنسانيّ ، فباتهامه والطعن عليه يتحقّق مأرب هؤلاء الخصوم الحاقدين ، وهو تشكيك الناس في الرسالة المحمّديّة وإضعاف ثقتهم بالقرآن والسنة اللذين هما قاعدتا الإسلام الأساسيّتان وركنا بنائه الرئيسيّان . فلاكت ألسنتُهم الآثمةُ أكثر الصحابة نقلاً لسنة رسول الله ﷺ كسيِّدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، واتهموا الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بأبشع الاتهامات ، وطعنوا على قوّاد المسلمين وأمرائهم في صدر العصر الإسلاميّ كخالد بن الوليد ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان بمطاعن باطلة ، وتحاملوا على بعض علماء الصحابة وأئمتهم المتقدِّمين .

لهذا حذّر رسول الله ﷺ من أن يُساء لأحد من أصحابه ، فقال : « لا تسبّوا أصحابي ، فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » [مصابيح السنة] .

وقال : « الله الله في أصحابي ، لا تتّخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبَّهم فبحُبِّي أحبَّهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه »[الترمذي] .

وهم رضي الله تعالى عنهم ـ وإن تفاوتوا في الفضل من حيث سَبْق بعضهم إلى الإسلام وكثرة بذلهم وبلائهم في سبيله ـ لا يخرجون جميعاً من دائرة الأفضليّة على غيرهم ممّن يأتي بعدهم من صالحي الأُمّة المسلمة وأئمّتها إلى قيام الساعة .

وحسبك أن تقرأ جواب عبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه في شأن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما ـ الذي كان أكثر من طُعِن عليه من الصحابة ولاكتْه الألسن الآثمة ،واتهمتْه بالخروج من الملّة ـ حين سُئل : أيُّهما أفضل معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال : والله ، إنَّ الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرَّة ، صلّى معاوية خلف رسول الله ﷺ فقال سمع الله لمن حمده ، فقال معاوية : ربنا ولك الحمد ، فما بعد هذا؟ . اهـ [وفيات الأعيان لابن خلِّكان ٣/ ٣٣] .

ولا يعني هذا الغضَّ من قدر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ، ولكنَّها غيرة المؤمن الصادق على أصحاب رسول الله ﷺ وصيانة لحقِّهم جميعاً على المسلمين في توفير كامل الحُبِّ والإجلال لهم في مختلف الأزمان والأحوال .

ولقد ابتهجت غاية الابتهاج ، وامتلأ قلبي سعادةً عندما أرسلت إليّ **دار المكتبي** كتاباً في بيان **فضائل الصحابة في ميزان الشريعة الإسلامية** من تأليف الدكتور محمد عمر الحاجي طالبةً مني الاطلاع عليه قبل أن يؤول إلى الطبع والنشر ، فقرأته بإمعان لم أترك منه باباً ولا بحثاً إلاّ استوفيته

دراسةً ، فوجدتني أمام كتاب بديع مؤثِّر جدير بأن يُطبع ويُنشر ليقرأه الناس قراءةً واعية ، ويطلعوا من خلاله على خلاصة وافية في بيان فضل الصحابة الكرام تُحرِّك في قلوبهم معاني الحُبِّ لهم ، وتجعلهم يتنافسون في إجلالهم وتكريمهم ، وتبدِّد عن أذهان الضعفاء منهم ظلام الشُّبهات ليجدوا أنفسهم أمام شمس ساطعة تقول : هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين يصدق فيهم قول القائل :

هيهات أن يأتيْ الزمان بمثلهم إن الزمان بمثلهم لبخيلُ

فلقد أحسن المؤلِّف ـ حفظه الله ـ في تنظيم الكتاب وتبويبه وفي سبك عباراته وتقريبه ، وفي اختيار أدلّته وشواهده ، وإقامة حُججه وبراهينه ، بحيث يجد القارىء نفسه أمام كتاب قريب أريب سهل العبارة ، بعيد الإشارة ، عميق الفِكْرة ، قويّ الأدلّة ، ينطق بالحقّ في معترك الدِّفاع عن الرعيل الأوّل من المسلمين ؛ الذي شرب من معين النبوَّة وتربّى في أحضانها .

فجزى الله تعالى عنا المؤلِّف خير الجزاء على هذا العمل العظيم الذي أتمّه بتوفيق الله له ، فكان سراجاً منيراً في مضمار حبِّ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم والذَّوْد عن حياضهم .

وأسأله سبحانه أن يكون نوراً في صحيفة مؤلِّفه وناشره ومُصحِّحه ، وهداية لقارئه ودارسه إنه مجيب الدعاء ، والحمد لله رب العالمين .

نذير محمد مكتبي

من وحي التنزيل

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح : ٢٩] .

صدق الله العظيم

من هدي النبوة

قال رسول الله ﷺ :

« ليُبلّغ الحاضر الغائبَ ، اللهَ اللهَ في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي ، فمن أحبهم فبحبّي أحبّهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله ، فيوشك أن يأخذه ، ومن يأخذه الله فيوشك ألاَّ يفلته » .

[سنن الترمذي : رقم (٣٨٦١) ، والمسند للإمام أحمد : ٤/ ٨٧] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً لا يعدله شيء ولا يحده حدّ ، الحمد لله القائل في كتابه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

والصلاة والسلام على أعظم المخلوقات علىٰ وجه الإطلاق ، سيدنا محمد ﷺ القائل : « إن الله اختارني واختار لي أصحابي وأصهاري . وسيأتي قومٌ يسُبُّونهم ، ويبغضونهم ، فلا تجالسوهم ، ولا تشاربوهم ، ولا تؤاكلوهم ، ولا تناكحوهم »[1] .

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣/ ٦٣٢ ، كنز العمال للمتقي الهندي : رقمه (٣٢٤٦٦) ، جمع الجوامع للسيوطي : رقمه (٤٦٢٩) ، المعجم الكبير للطبراني : ١٧/ ١٤٠ ، حلية الأولياء لأبي نعيم : ٢/ ١١ . مجمع الزوائد للهيثمي : ١٠/ ١٧ .

ورضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين ، وعن التابعين بإحسان إلىٰ يوم الدين ، وبعد :

ففي تزاحم الأفكار التي تطرح هنا وهناك ، يظن بعض الجهّال أن محبة آل رسول الله ﷺ لا تكون إلا ببغض صحابته الكرام أو سبهم أو شتمهم!! .

لذلك تُطلق بعض الألسنة من عقالها لتنال من الكثير من صحابة رسول الله ﷺ ، بل تصل إلى أقرب الصحابة من رسول الله ﷺ ؛ أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، وهذا هو الدافع وراء تأليف هذا الكتاب .

لذلك حاولت العودة إلى الأصول ، ولا سيما القرآن الكريم ، والسنّة الشريفة ، لأجد أمراً عجباً ، لأجد أن القرآن أكد في كثير من الآيات فضل الصحابة الكرام ، ودعا إلى حبهم وتقديرهم وعدم النيل منهم ، وكذلك الأحاديث الشريفة .

لذلك فعلى المسلمين أن يتأدبوا بآداب القرآن والسنّة في الحديث عن صحابة رسول الله ﷺ .

ها هو ذا توجيه القرآن الكريم من خلال قول الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] .

هكذا يجب أن يكون الأدب مع صحابة رسول الله ﷺ ، وإلا فإن ذلك طعن بهم ، فماذا يعني ذلك؟! .

إنه الطعن بالقرآن ذاته! وإنه الطعن برسول الله! وإنه الطعن بكل ما في أيدينا من فقه وأحاديث وآيات قرآنية! .

ذلك لأن الصحابة الأكارم هم الذين نقلوا ذلك كله ، وهم الذين لم

يكذبوا في النقل ، وهم الذين عاشوا في خيرة القرون ، كما أخبر رسول الله ﷺ :

« خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم. . . »[1] وهم الذين أعطاهم رسول الله ﷺ مرتبةً لا نبلغها مهما قدّمنا من أعمال صالحات ، أوليس يكفيهم أنهم النواة الأولى لهذا المجتمع المسلم؟ أوليس يكفيهم أنهم الذين ضحّوا بكل شيء من أجل نصرة هذا الدين؟! أوليس يكفيهم شهادة القرآن فيهم وشهادة رسول الله أيضاً؟! .

يقول رسول الله ﷺ : « لا تسبّوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه »[2] .

ويقول الله تعالى ، وهي شهادة ما بعدها شهادة : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] .

ثم يؤكد هذا الأمر ، فيقول تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾

[التوبة : ١٠٠] .

أجل ، فتقدير صحابة رسول الله وحبهم وتوقيرهم ، والبُعد عن كل ما أتى به جهلة رواة التاريخ من مشاجرات حدثت معهم ، وترك ذلك إلى الله سبحانه ، كل هذا هو الطريق الذي سار عليه علماء الأمة منذ عهد التابعين ، ولا يُلتفت لبعض الفئات التي تريد النّيل من صحابة

---

(١) صحيح البخاري : ٥/ ١٩١ ، صحيح مسلم : رقمه (٢٥٣٣) ، وللحديث عدد كبير من الروايات .

(٢) سنن الترمذي : رقمه (٣٨٦١) ، سنن ابن ماجه : رقمه (١٦١) ، سنن أبي داود : رقمه (٦٥٨) .

رسول الله ، ذلك لأن الحق أحقّ أن يتّبع ، وما أجمل قول القاضي عياض رحمه الله :

ومن توقيره وبرّه ﷺ توقير أصحابه وبرّهم ومعرفة حقهم ، والاقتداء بهم ، وحُسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم ، والإضرابُ عن أخبار المؤرخين ، وجهلة الرواة ، وضُلاّل الشيعة والمبتدعين القادحة في أحدٍ منهم ، وأن يُلتمس لهم فيما نقل عنهم من ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ، ويخرَّج لهم أصوب المخارج ، إذ هم أهل ذلك ، ولا يُذكر أحدٌ منهم بسوء ، ولا يُغمص ـ لا يعاب ـ عليه أمرٌ ، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم ، وحميد سيرتهم ، ويُسكت عما وراء ذلك[1] .

ذلك هو الدافع وراء تأليف هذا الكتاب ، صحيح أنه كتاب مختصر أمام مقام الصحابة ، لكن فيه إشارات لمن أراد التوسع من المصادر والمراجع التي ذكرتها ، وكانت أبوابه :

أولاًـ مسائل تتصل بالصحابة ، وأهمها : من هو الصحابي؟ وتعداد الصحابة وطبقاتهم ، وعدالة الصحابة ، وموقفنا مما جرى بين الصحابة من مشاجرات واقتتال .

ثانياًـ ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة عن فضائل الصحابة الكرام .

فإن وفّيت الغرض بعض حقه ، فذلك من فضل الله وقدرته ومنّه ، وإن قصّرت فهذه طبيعة الإنسان ، سائلاً الباري عز وجل أن يحشرنا

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ : ٢/ ٦١٤ .

جميعاً على محبة الله ومحبة رسوله ومحبة آل بيته ، ومحبة صحابته ، ومحبة التابعين ، ومحبة جميع المؤمنين إلى يوم الدين .

وأختم ذلك بقول الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى :

أكرم بأصحابه أكرم بعترته ... نوران منه فمفصول وموصول

جميعهم زيّن الله الوجود بهم ... يا حبذا فاضلٌ منهم ومفضول

منهم شموس ضيا منهم بدور علا ... منهم نجوم هدى منهم قناديل

عدو قوم عدو الآخرين فلا ... يخدعك من عنده للبعض تبجيل

فأحبب الكل تُجْعَل يا فتى معهم ... إن المحب مع الأحباب مجعول

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وزدنا علماً ، وسدد خطانا ، وألهمنا السداد في القول والعمل ، وارض عنا في الدنيا والآخرة ، يا أكرم الأكرمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *